تأكيد السلام الاجتماعى بين الملاك والمستأجرين

محمود عبد المنعم مراد

تشغل مشكلة الإسكان بال الملايين من المصريين . وألوف الخبراء العاكفين على دراستها الآن . وقد قرأت فى الأسبوع الماضى ، مقترحات شتى لحل هذه المشكلة المزمنة المرهقة ، وتحديد العلاقات القائمة بين الملاك والمستأجرين ، بما لا يحيق الضرر بأى منهما . ولكنى – فى ثنايا ما قرأت – هالنى اقتراحات أعدتها لجنة الاسكان بالحزب الوطنى الديموقراطى ، وأحسب أن الواجب يقضى بالتريث والأناة فى تنفيذ هذه الاقتراحات .

والمشكلة ذات شقين . أحدهما وهو الأهم – هو توفير السكن الملائم لكل من تطله أنحاء مصر . ومعنى ذلك تدبير مساكن للملايين . وقد أكدت جميع الدراسات التى عالجت هذه المشكلة ، أنها ليست يسيرة بأى حال . فبناء ثلاثة ملايين من المساكن ، فى سنوات محدودة ، أمر فوق طاقة المجتمع بقطاعيه العام والخاص . ولكن ليس معنى أن تكون المشكلة صعبة عسيرة ، أن نجلس صامتين نتطير عليها . ولكن الواجب أن نبدأ العمل على الفور . فإذا استطعنا أن نحل جزءا من المشكلة ، فذلك خير من تركها كلها بغير حل .

ولست أريد الخوض فى وسائل مواجهة هذا الخطر ، من حيث تدبير الأرض الفضاء التى تبنى عليها المساكن ، وتوفير مواد البناء ، وإقامة البنية الأساسية اللازمة ، وما يقتضيه ذلك كله من أيد عاملة مدربة ، ومن أموال . وغير خاف أن أموال القطاع الخاص محجمة تماما عن المساهمة فى الحل بسبب الظروف والقوانين والقرارات التى جعلت إيداع الأموال فى البنوك أو شراء شهادات الاستثمار ، أجدى وأسهل وأكثر أمانا من المخاطرة باستغلالها فى البناء ، فى ظل التشريعات القائمة .

والشق الثانى ، وهو الذى يعنينى هنا ، هو العلاقات بين المالك والمستأجر . وقد نشأ عدم الاستقرار فى هذه العلاقات منذ السنينات ، لأهداف سياسية محضة . حيث كانت السلطة وقتذاك تطلب رضا الفقراء على حساب الأغنياء وبالطبع كان كل مساكن فقيرا ، وكان كل مالك غنيا ، هذا فى نظر الدولة ، مع أنه غير صحيح . فهناك مساكن أغنى من ذوى العقارات . وهناك مساكن ومالك فى نفس الوقت . ولكن الدولة ، عندما كانت تعنى بالاشتراكية الدعائية ، عمدت إلى تخفيض إيجارات المساكن ، ترضية للساكنين ، لا على حساب الدولة ، بل على حساب المالكين . ثم تفاقمت المشكلة عاما بعد عام ، لأن الناس يتكاثرون ، والبناء ينقص ولا يزيد . ولم تكن فى السينات نظرة مستقبلية مخلصة ، تعمل للغد حسابه وتخطط له ، لأن مجال الإسكان فحسب ، بل فى كل ميادين الانتاج والخدمات .

وهكذا أصبح الوضع لا يطاق . وفى ظن أنه يستدعى علاجا جديدا غير تقليدى على الاطلاق ، يتمشى مع أساليب العلاج غير التقليدية ، التى يجب أن ننتهجها فى جميع الميادين ، فى التعليم ، وتدريب القوى العاملة ، ومشكلة الإسكان ، ومراجعة الخلل فيما بين الأدخار والاستثمار . أعنى أن نقتحم مشاكلنا بروح جديدة ، وفكر جديد ، وحلول جديدة تماما ، تتمشى مع أوضاعنا القائمة ، مشاكلها المزمنة التى تفاقمت على مدى ثلاثين عاما أو أكثر .

ولقد تحدثت مرارا قبل ذلك ، عن نقطة كثر حولها الجدل ، وهى ترك الحرية كاملة بين المالك والمستأجر ، يسود بينهما قانون العرض والطلب بلا تدخل من جانب الدولة . ويبدو أن هذا الرأى أصبح موضع نظر ، بعد أن كان مستبعدا كل الاستبعاد . ولكن الذى لفت نظرى فى المقترحات الأخيرة التى نشرت فى الصحف ، على أنها مشروع قانون جديد لتنظم العلاقة بين المالك والمستأجر ، فكرة صغيرة ، ولكن آثارها وخيمة العواقب . وهى الاقتراح بأن يكون للمستأجر حق التنازل عن مسكنه لمن يشاء ، دون حاجة إلى موافقة مالك العقار . وأنا لست من رجال القانون بحيث أفتى فى مدى شرعية مثل هذا الاقتراح ، وإن كان يبدو أنه يجعل للمستأجر حقا على العقار أقوى من حقوق صاحبه . ولكنى أرى ، من الناحية الاجتماعية لا القانونية ، أن مثل هذا الاقتراح عواقب وخيمة للغاية . ذلك أنه يفرض على صاحب العقار مستأجرا قد لا يتوافق معه فى الظروف الاجتماعية ، أو فى العادات أو التقاليد أو المستوى الاجتماعى ، أو فى السلوك الشخصى للمستأجر الجديد . هذا بالاضافة إلى أن القانون الحالى الذى يحكم بالسجن والغرامة على صاحب العقار إذا تقاضى ، خلو الرجل ، سيحمى المستأجر من هذا العقاب إذا تقاضى لنفسه خلوا عن مسكنه من مستأجر آخر ، دون شرط موافقة المالك . وهكذا نكون قد أبحنا خلو الرجل للمستأجر ، وحرمناه على صاحب العقار . هذا بالاضافة إلى أن شعور المالك بأن المستأجر القديم قد فرض عليه مستأجرا جديدا ، سوف تنجم عنه عواقب وخيمة تضر بالسلام الاجتماعى بين المالك والمستأجر .

وثمة لاشك نقطة صغيرة فى بحر المشكلات التى يعانى منها الأفراد ، وتعانى منها الدولة ، بسبب ندرة المساكن وتعذر تلبية طلبات العاجزين عن الحصول عليها .

وكل ما أرجوه هو أن يدرس المختصون فى الحزب أو فى الحكومة ، دراسة المشكلة من جميع جوانبها المادية والاقتصادية والاجتماعية ، بمزيد من التريث والأناة والصبر . فاذا تأخرنا بسبب ذلك بضعة شهور ، فإن ذلك خير من الارتجال ، وكثرة التغيير والتبديل فى قوانين الاسكان .

الوضع فى إيران

استوقفنى عبارة وردت على لسان الشاه السابق ، شفاه الله وعافاه ، فى حديثه المنشور فى مجلة أكتوبر فى الأسبوع الماضى ، وهى أن إيران صائرة نحو الشيوعية ، لا من الخارج ، بل بنداء من الداخل ، عندما تفصل الفوضى الى نهايتها ، ويبقى بالثورة جماهير الناس بعد أن ابليت بها الطبقتان الأولى والثانية .

وقد دار بخلدى أن الشاه ربما يكون مبالغا ، أو ربما يكون قد أراد أن يظهر خيبة السياسة الأمريكية ، التى عجلت برحيله ، وفاتت خطأ أن الثورة الدينية الإسلامية كفيلة بأن تكون الدرع الواقية من الشيوعية ، بسبب التناقض بينها وبين الدين .

ولكنى بعد إمعان التفكير فى مستقبل إيران ، وجدتنى أتراجع الماضى ، وأذكر ما حدث لثورة ٢٣ يوليو . فقد ظلت الثورة المصرية واقفة بالمرصاد للحركات الشيوعية ، إلى أن جاء وقت تول فيه الشيوعيون جميع السلطات ، ومنح فيه السوفيت شتى القواعد والامتيازات وأصبحت موسكو هى الآمرة الناهية ، وإن تم ذلك بعد مضى عدة سنوات .

ومن العسير أن نتنبأ بما سيحدث فى إيران ، لأن المستقبل القريب ولأن المستقبل البعيد ، وخاصة فى هذه السنوات التى تشهد سرعة غير مألوفة فى تغير المواقف الدولى ، وموازين القوى العالمية . ولكن مهما يكن من صعوبة التنبؤ ، فإن الحالة البادية الآن ، لا تخفى على العيان .

فالإمام الخمينى يقود رئيس الجمهورية ، ويهدد الوزراء بالمحاكمة ، ومعاملتهم كما يعامل تجار المخدرات ، والسلطات فى إيران غير محددة ، والعمل متوقف ، والأيدى المعطلة تكثر يوما بعد يوم ، والتاج النفط هبط إلى الربع ، وتأثرت الحالة الاقتصادية نتيجة لتجميد الأموال وانحسار الاقتصادى المفروض فى الغرب ، نتيجة لأزمة الرهائن ، التى تتضارب الأنباء بمصيرهم بين لحظة وأخرى . ولقد مضت على الثورة الآن سنة وبضعة شهور ، وما استقر شئ فيها ، وما اتضحت سياسة ما ، ومعارف أى انسان رأسه من قدميه ، بدءا من الخمينى ، ومرورا بمجلس الثورة ورئيس الجمهورية والوزراء إلى أدنى طبقات الشعب . ذلك كله راجع إلى أن الشعب الإيرانى كان يريد التغيير ، ولكن الزعامة الدينية التى قادته وأوصلته إلى هذا التغيير ، لم يكن لها من الخطط المسبقة ما يمكنها من المضى فى سياسة معينة ، ولم يكن لها من الفكر السياسى الناضج الواضح ، ما يحدد لها طريق المستقبل ، ومن هنا جاء التخبط والفوضى وإراقة الدماء ، وكثرة الهجرة إلى الخارج ، وكثرة المؤامرات فى الداخل ، إلى آخر ما تطالعنا به الأنباء كل صباح .

وستظل الفوضى ضاربة أطنابها ، حتى تستطيع قوة من القوى السياسية الماثلة الآن فى إيران ، أن تستقطب من الأنصار ، الداخليين والخارجيين ، ما يمكنها من الفوز بالسلطة ، والسير فى الطريق

الواضح المرسوم . وليس فى الأفق ما ينبىء عن قرب حدوث ذلك . وسيظل إيران بها للفوضى والفساد والاضطراب والفقر إلى أن يقضى الله أمرا كان مفعولا . ولكن هذا المفعول ليس الى الآن فى الحسبان .

آرثر ميللر

لم أشأ أن أبدأ حديثى هذا الأسبوع عن مشكلة الشرق الأوسط ، أو مشكلة فلسطين ، أو مشكلة القدس على وجه التحديد . ذلك أن ماقيل فى هذا الموضوع كفيل أن يجعل الكاتب غير قادر على الإضافة إليه بأى كلام جديد .

ومع هذا الاصرار الإسرائيلى الواضح على عرقلة جهود السلام ، وإفشال مفاوضات الحكم الذاتى للفلسطينيين . فإنى مازلت غير متشائم . مادامت المشكلة فى نظرى تحتاج إلى مزيد من الوقت ، تكسب فيه كل يوم ، رغم كل ما تفعله اسرائيل .

ويكفى أن نسمع الصياح الذى دوى أن تسعين يهوديا أمريكيا بارزا قد أسسوا فى الولايات المتحدة فرعا لحركة « السلام الآن » ، ويكفى أن نلمح هذا التيار المتصاعد فى جميع أنحاء العالم مؤيدا حق الفلسطينيين فى تقرير المصير . ويكفى أن نقرأ قرار مجلس الأمن الأخير . مهما تكن اسرائيل مستهينة بكل ما يصدره مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة من قرارات . فالواقع الذى لاشك فيه هو أن مبادرة السلام أحدثت تغيرا جذريا فى المسرح الدولى كله . بدءا من الولايات المتحدة ، إلى أوروبا الغربية ، إلى العالم الثالث . بينما كانت الصورة قبل المبادرة تنذر الى اليأس الكامل والأسى العميق .

وقد انضم إلى حركة « السلام الآن » فى الولايات المتحدة ، كاتب من أكبر الكتاب الأمريكيين المعاصرين ، وأعمقهم فكراً ، وأكثرهم إبداعا وروعة . ذلك هو الكاتب المسرحى المفكر : آرثر ميللر اليهودى الذى حظى باحترام وإعجاب قراء الكتب ورواد المسرح فى عالمنا المعاصر .

وقد ولد ميللر فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٥ ، فى نيويورك . وتزوج لأول مرة فى أول مايو سنة ١٩٤٠ ، ولكنه طلق زوجته بعد أن أنجب منها ولدا وبنتا . وكان ذلك عام ١٩٥٦ ، حيث تزوج بممثلة السينما الجميلة الشديدة الإغراء مارلين مونرو ، ثم طلقها بعد خمس سنوات . وتزوج للمرة الثالثة من المخرج مورات عام ١٩٦٢ حيث أنجب منها بنتا . وقد تعلم فى جامعة شيكاغو . وحصل فى بدء حياته الأدبية العريضة على جائزة هيوورد فى التأليف المسرحى من جامعة متشيجان عامى ٣٦ و٣٧ . كما حصل على جائزة المسرح القومية عام ١٩٣٨ . ونال

آرثر ميللر

جائزة جمعية نقاد المسرح فى نيويورك عام ١٩٤٧ . وعام ١٩٤٩ . وفى نفس السنة حصل على جائزة بوليتزر الأدبية المعروفة . ومن بعدها على جوائز لاتعد ولاتحصى .

ومن مؤلفاته الشهيرة ، الرجل الذى كان له كل الحظ ، (عام ٤٣) و « موقف عادى » (عام ٤٤) و « جميع أبنائى » (عام ٤٧) و « وفاة بائع متجول » (عام ٤٩) و « منظر من فوق الجسر » (عام ٥٥) ، و « ذكرى يومى التى » (عام ٥٥) و « بعد الحرف » (عام ٦٤) و « حادثة فى فيشى » ثم « الخارزة » (عام ٦٨) وبعدها كثير من القصص والروايات المسرحية والأفلام السينمائية . ويعتبر هو وتنسى وليامز ، الذى تحدثت عنه فى الأسبوع الماضى ، وبعدهما يوجين أونيل ، عمالقة المسرح الأمريكى الحديث . وليست عبقرية هؤلاء كامنة فقط فى مستوى أدائهم الفنى للعمل المسرحى ، ولكن فى عمق التفكير ونفاذ البصيرة وعظمة الخلق والإبداع . وإن انضمام رجل كآرثر ميللر إلى الفريق المنادى « بالسلام الآن » ليعد مكسبا كبيرا وظاهرة جديدة تؤكد ما سبق أن ذكرته من أن الريح تهب فى صالحنا . مهما تنفخ البيد صاحبها يحين وقوفه المتعصبون . الذين يعيشون فى حالة الذعر الأخير .

ميناء القصير

مازلت أذكر رحلة قمت بها منذ ثلاثين عاما . على شاطئ البحر الأحمر . من السويس شمالا الى رأس محمد جنوبا . حيث تحاذى هذه المنطقة

مارلين مونرو

مدينة إدفو فى جنوب الصعيد .

وكنت فى صحبة مسئولين كبار فى تلك الرحلة يقومون بمعاينة المناجم والخاجر فى الصحراء الشرقية القريبة من شاطئ البحر الأحمر . وقد عدنا فى ميناء القصير وقتذاك ثلاثة أيام . تحدث فيها هؤلاء المسئولون . عن التاريخ القديم لهذا الميناء . وكيف كان وقتذاك هو الميناء الرئيسى الذى يحر منه حجاج الصعيد إلى جدة التى تكاد تواجهه على الشاطئ الشرقى من البحر . وكم تحدثنا فى ليالى الصيف على ساحل البحر فى القصير عن الإمكانيات المذهلة لإعادة الحياة الى هذا الميناء المهجور . وكيف يمكن أن تقوم فيه صناعات جديدة رائجة . خاصة أن الشاطئ هناك ملئ بالأسماك المختلفة الأنواع والأحجام . والتى يمكن اقامة مصانع لتعليبها وتهيئتها للاستهلاك المحلى والتصدير .

ومضت الأعوام الثلاثون ولم أنس شيئا عن هذا الميناء الذى ظل فى ذاكرتى وأنا أستعرض بين وبين نفسى مدى مايمر من إمكانيات تدعم اقتصادها وتوفر سكانها . رغم تجاهلنا من الطعام . وتوفير من حصيلة إيراداتها من السياحة .

وقد كتبت منذ أسبوعين كلمة عن الشاطئ الشرقى لمصر . وعن هوس الشباب القادمين من دول الشمال بالجو الجميل الدافئ الذى يتميز به هذا الشاطئ فى فصل الشتاء . واليوم أخص بالذكر ميناء القصير . وأتخيله ميناء جديدا يضاف إلى موانى مصر فى البحرين الأبيض والأحمر . ويخطف عينا وعاشقة الرحلات . والتجديد مصيفا ومشتى يعج بالسائحين . ومركزا لتصنيع الأسماك . ومنفذا لخجاج الوجه القبلى الى الأراضى المقدسة . حيث يصلونها بالسيارة خلال ساعات .

فهل يمكن أن تحرك هذه الكلمة مسئولا يخطف رجله إلى هذا الميناء . ويتعرف عليه . ويقدر إمكانيات النهوض به واستغلاله من جميع النواحى . لأنه لم يعز فى القلب أن تكون الأوراق فى متناول اليد . ولكن الكسل أو التواكى يقعدنا عن العمل والانجاز ؟

زينب والعرش

رأيت بعض حلقات من المسلسل التليفزيونى الذى عرض أخيرا بعنوان « زينب والعرش » . وقرأت وسمعت أحاديث كثيرة عن هذا المسلسل ، الذى أجاد فيه الكثير من الممثلين الكبار . أمثال محمود مرسى وكمال الشناوى وصلاح قابيل وحسن يوسف وعبد المنعم ابراهيم ، والممثلات الجيدات من مثيلات هدى سلطان وعايدة عبد العزيز وسهير رمزى وغيرهن . وقد تساءل الكثيرون عما إذا كانت القصة تحكى واقعا قريبا إلى التاريخ منه إلى الخيال ، أو قريبا إلى الخيال منه إلى الواقع . وتساءلوا من يكون عبد الهادى ورديان ويوسف منصور وحسن زيدان إلى آخر الشخصيات . ورغم بعض النقاط السلبية التى تضمنها المسلسل فلا شك أنه نال اهتمام الجماهير . بسبب الحوار الجميل المتقن ، وأداء الممثلين الذى بلغ الذروة فى كثير من الأحيان . ومن بين هذه السلبيات أن رجلا يملك جريدة ويرأس تحريرها . ويشغل نفسه بها ليل نهار . لايمكن أن يكون فردا فى « شلة » من صغار الموظفين . يقضون وقتهم فى لعب الطاولة فى أحد النوادى . أو فى منزل الزوج الذى لايبحث إلا عن المال عاديا بعرضه عرض الحائط كما يقال . وإذا كان الناس قد تساءلوا عمن يكون أبطال المسلسل فى واقع الحياة . فإن هذا لم يمنع فصول كما استثار فضول الكثيرين من المشاهدين . لأن القصة ليست تسجيلا لواقع . ولكنها تمزج بين الحقيقة والخيال . ولايمكن أن تكون الشخصية المتخيلة مطابقة لنماذج حية . وإلا كان من الممكن أن يقدم المسئولون عن هذا البرنامج إلى ساحة القضاء بتهمة القذف والتشهير .

ولكى منذ البداية حتى النهاية . أتساءل بدورى أن أفكر بجواب : من هى زينب فى الرواية أو فى الخيال أو فى الرمز الذى يهدف إليه المؤلف ولايفصح عنه ؟ من هى ومادورها ومامضمونها العضوية بالأحداث ؟ ثم ماهو العرش . عرش الضحالة أم عرش الخيال أم عرش الجهل أم عرش الغباء ؟ وماعلاقة هذا العرش بالخط الأصلى للرواية كما عرضها التليفزيون ؟ □